مقامات فاطمة عليها السلام

<"xml encoding="UTF-8?>

شهدت الساعات الأولى من رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله صراعاً عنيفاً بين أجنحة التيارات الطامحة في الحكم، ولم يمر وقت قليل حتى تمت تصفية حسابات توزعت من خلالها مناصب الحكم لتتفق بعد ذلك على إقصاء الشرعية الإلهية المتمثلة في الإمام علي عليه السلام، ولم تكن هذه المراحل القاسية التي مرّت على الإمام سلام الله عليه باليسيرة، بل صاحبتها محاولات إرغام على البيعة عانى منها الإمام وأصحابه الأبرار شتّى الضغوط النفسية التي حاولت من خلالها مجموعة السقيفة أخذ إقرار ولو شكلي على تأييد محاولات البيعة المدّعاة ليكون الأمر بعد ذلك ممراً تحت غطاء الشرعية.

هكذا حاولت السقيفة إقناع عامة المسلمين، إلاّ أنّ ذلك لم يتم مع وجود فاطمة الزهراء عليها السلام وهي تتصدى لمحاولات الإرغام على البيعة التي تطال علياً عليه السلام وأصحابه وذلك لما تتمتع به عليها السلام من مقام الحجية المرتكز في نفوس المسلمين، إذ ما زالت ذاكرة المسلمين تسجّل ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤكّده في فاطمة عليها السلام من مقام شامخ وذكر عظيم.

فعن كتاب لأبي إسحاق الثعلبي عن مجاهد قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخذ بيد فاطمة وقال: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي الذي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»).(الإصابة في معرفة الصحابة:٢/٥٧)

وعن جابر بن عبد الله قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ فاطمة شعرة منّي، فمن آذى شعرة منّي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله ملء السماوات والأرض»).(كشف الغمة:١/٤٦٧)

وقد فهم المسلمون اقتران أذى فاطمة عليها السلام بأذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالتالي هو أذى الله تعالى الذي يوجب اللعنة والعذاب الأليم.

إذ لا يتم ذلك إلا لمن كان له مقام الحجية الإلهية، وإلاّ لا يمكن أن يتم قوله صلى الله عليه وآله أن أذى فاطمة عليها السلام يعني أذاه الذي هو أذى الله تعالى، فإنّ ذلك دليل الحجية التي يتمتع بها مقام فاطمة من بين المسلمين.

لذا فلا يكون دخولها عليها السلام وسط الأحداث الملتهبة إلا إخماد لتلك النائرة التي أججتها طموحات القوم وأمانيهم مما أدى إلى إرباك خططهم وتداعي كل محاولة خارجة عن نطاق الشرعية.

الهجوم على دار الزهراء عليها السلام وصدها عليها السلام للباب

هناك شبهة حول خروج سيدة نساء العالمين من الدار إلى الباب مع وجود أمير المؤمنين علي عليه السلام؟

الجواب: الظاهر أن الخروج كان بعد ندائهم للإمام عليه السلام بالخروج وتهديدهم بحرق البيت ، فخروجها لم يكن لفتح الباب ولكن لردهم وصدهم عن ما قصدوا.

ومن الواضح الجلي أن بيت فاطمة عليها السلام كان يتمتع بحرمة قد شيدها القرآن الكريم لأهل البيت عليهم السلام وتعظيم وحث بالغ على مودتهم، مضافاً إلى تعظيم النبي صلى الله عليه وآله لحرمة بيت فاطمة وعلي عليهما السلام، حيث لم يكن يدخل هو نفسه صلى الله عليه وآله إلا بعد الاستئذان وطرق الباب ويقول: إن الله أمره بذلك.

فلم يرع عمر تلك الحرمة كما لم يرع أبو بكر ذلك حينما أمر بالكشف عن بيت فاطمة عليها السلام.

وموقف الزهراء عليها السلام نظير انتداب الله عز و جل مريم بنت عمران للقيام بمهمة لم ينتدب الله تعالى لها زكريا عليه السلام وهي كشف القناع عن دجل علماء اليهود من بني إسرائيل.

وصيتها عليها السلام

روى الشيخ المفيد أعلى الله مقامه بسنده عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين عليهما السلام قال: «لما مرضت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله أوصت إلى علي صلوات الله عليه أن يكتم أمرها ويخفي خبرها ولا يؤذن أحداً بمرضها ففعل ذلك وكان يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس رحمها الله على استسرار بذلك كما أوصت».(أمالي المفيد:٢٨١)

فشهادتها و دفنها ليلاً محطة مفعمة بالظلم والأسى وصارخة بالاعتراف على المتغلبين على أمر الخلافة، فسجلت بنحو بيّن لكل الأجيال الإدانة لحركة السقيفة ومسار الابتعاد عن أهل البيت عليهم السلام تبياناً منها لبطلان الأُسس والبنى التي أرسوا مسارهم عليها كدعوى الشورى وخوف الفتنة ودعوى العلم بالكتاب والسنة كما في قولها: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟».(السقيفة وفدك:١٤٢)

فرفعت اللوابس والحيرة الساترة على رؤية وبصيرة الأُمة التي أخذتها الفتنة الفكرية والسياسية المحتدمة فسنت بذلك سنة التولي والتبري العقيدي والسياسي في الأُمة الإسلامية.

خفاء قبر الزهراء عليها السلام دليل على انحراف الأُمة

مجلة الوارث - العدد 94أرادت الزهراء عليها السلام حتى من إخفاء قبرها أن يكون سنداً ودليلاً على هذا الانحراف الجديد الذي طرأ في الأُمة، بل سيبقى لخفائه على مر العصور شاهداً آخر على مظلوميتها.

والملاحظ أنه حتى الأئمة عليهم السلام من ولدها لم يقوموا بالإفصاح عن موضع قبرها لئلا ينتقض الغرض المهم وراء إخفائه.

ومن قوة هذا الموقف ودلالته لم تستطع المصادر العديدة إخفاءه وطمسه حتى من صحيح البخاري، مما يدل على أنها رحلت عليها السلام من هذا العالم وهي مقاطعة لمشروع السقيفة وغاضبة على رجالها.

سؤال وجواب

السؤال: ما المقصود من قول الزهراء عليها السلام في عتابها لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا بن أبي طالب اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الضنين، نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافه قد ابتزني...».(أمالي الطوسي:٦٨٣)

الجواب: ما قالته عليها السلام للإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو من باب إياك أعني واسمعي يا جارة كما في ظاهر صورة عتاب الله لعيسى: {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ}.[المائدة:١١٦]

مع أنّ النبي عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام لم يرتكب تقصيراً وإنما هو تعريض بالمحاسبة والعتب على قومه وكما في كثير من عتابات الله تعالى للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ظاهر خطاب القرآن مع أنه صلى الله عليه وآله ليس مقصوداً بالخطاب بل العتاب للأُمة ولمن معه ولكنه أسلوب من أساليب الكلام التربوية، والغرض هو تبيان مظلوميتها وغصب حقها وحرجية موقف أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث كان قد أوصى إليه النبي صلى الله عليه وآله بالتزام الصبر على غصب الخلافة في حالة عدم وفاء الأُمة بالعهود المأخوذة عليها والزهراء عليها السلام كانت حاضرة في مجلس وصية النبي صلى الله عليه وآله بذلك لعلي عليه السلام فلم يكن ذلك مفاجئاً لها كي نتصوره موقفاً انفعالياً منها عليها السلام، بل هو نداءً للأجيال وصرخة في وجه الظلم والانحراف.

قال تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْواحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْداءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.[الأعراف:١٥٠]

فقد شابهت محنة علي عليه السلام محنة هارون على نبيّنا وآله وعليه السلام وخذلان القوم لكل منهما واستخلاف النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام واستخلاف موسى لهارون على نبيّنا وآله وعليهما السلام

كما شابه عتاب موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام لهارون عتاب فاطمة لعلي عليهما السلام في ظاهر الخطاب مع أن المراد حقيقة هو إبراز النفرة من ضلال القوم وخذلانهم لخليفة النبي صلى الله عليه وآله.

تحسس علماء أهل سنة الجماعة من أي سؤال حول ما تعرضت له الزهراء عليها السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله

وهذا التحسس والقلق الزائد البالغ ذروته كاشف عن مدى خطورة مواقفها عليها السلام وموقعيتها في رسم المنهاج للأُمة وإضاءة طريق الحق في نظام دلائل الدين ومدى تأثير خطاها ومسارها في بناء مسار الدين للأُمة إلى يوم القيامة وأن رعيل الصحابة مهما كثر عدده وعدته لا ينهض أمام حجية موقفها.

ونظير هذا التحسس تجده حول تفاصيل مقاطعتها لجماعة السقيفة المعبر عن إدانتها لما قاموا به من غصب الخلافة ومصادرة مناصب النبي صلى الله عليه وآله والذي تمثل في عدة أساليب من وصيتها بإخفاء مرضها وتجهيزها والصلاة عليها ودفنها وإخفاء قبرها كعلامة أبدية مستمرة تصرخ بالأُمة لتوقظها من غفوتها لتصحو بعد ذلك وتعود إلى وعيها ورشدها حول حقيقة الحدث وما دار من وقائع.

معنى حديث «فاطمة حوراء إنسية»

يثار تساؤل حول معنى الحديث: هل أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في صدد بيان حقيقة وذات فاطمة عليها السلام من بعض جوانبها وهل هذا البعد الذي بينه يختلف عن الخلقة البشرية مع وجود اشتراك بينها وبين سائر نساء العالمين؟

والجواب: في الحقيقة إن التساؤل المثار في معنى الحديث يشابه التساؤل الذي يثار في حقيقة ذات النبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ}.[الكهف:١١٠]

من أن القرآن لم يقتصر على تصوير الجانب البشري من ذاته وشخصيته صلى الله عليه وآله بل ذكر الجوانب العلوية المعنوية أيضاً وهي مقام تلقي الوحي وهو جانب غيبي.

فالحديث في صدد بيان إحدى درجات ذات الزهراء عليها السلام وهي كونها ذاتاً حورية متصلة بذاتها البشرية ومن ثم كان يظهر لها جملة من الآثار والصفات المتميزة عن الذات البشرية كتحديث الملائكة لها ونزول جبرئيل عليها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وإن لم يكن بوحي نبوي بل بعلم لدني نظير ما وقع لمريم بل بدرجة تفوق ذلك وغيرها.

شبهة وجواب

روي عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: «من آذى ذمياً ففد آذاني»، كما روي عنه صلى الله عليه و آله: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني»، فما هو وجه الفضيلة والشرف في الحديث الثاني؟

الجواب:

على تقدير صحة الحديث الأول الفرق بينهما واضح، حيث أنه في الحديث الأول قد أخذ عنوان الذمي بما هو معاهد أي أن انتهاك العهد الذي عقده النبي صلى الله عليه وآله وشرعه معهم انتهاك لذمته وعهده صلى الله عليه وآله، وهذا الأمر ثابت للذمي بهذه الحيثية لا مطلقاً، فلو خفر الذمي الذمة والعهد لما بقي له ذلك من لزوم الوفاء والعهد.

وهذا بخلاف الحديث الثاني فإنه قد أخذ عنوان فاطمة لذاتها من دون التقييد بحيثية معينة أو قيد خاص مما يدل على لزوم الحرمة والاحترام لها لذاتها مطلقاً وليس ذلك إلا لعصمتها وكونها ميزاناً مستقيماً في طريق الهدى وإلا لما ثبت ذلك لها بما هي هي لذاتها.

هذا مضافاً إلى ورود أحاديث في نفس المضمون ترتقي في أذيتها إلى أنها أذية الله تعالى وأن رضاها رضا الله تعالى وغضبها غضب الله تعالى مما يدلل على عصمة ذاتها ومن ثم يلازم موقفها موقف الرب تعالى.